

من هدي الرسول (صلى الله عليه وسلم)

في الآداب



حقُّ الولد



١٦

دار القلم العربي
للأطفال

فجر الهدى والإيمان

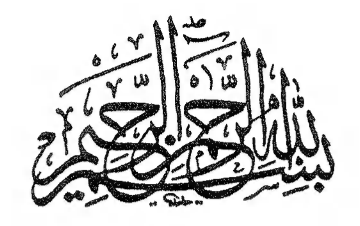
حق الولد

من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم في الآداب



إعداد
عبد القادر الشيخ ابراهيم

مراجعة
أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الثانية

مضبوطة و مشكولة

1421 هـ - 2001 م

عنوان الدار :

سورية ـ حلب ـ خلف الفندق السياحي ـ شارع هدى الشعراوي

ص.ب : 78 هاتف : 2213129 فاكس : 2212361 21 963+

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

حَقُّ الوَلَدِ عَلَى أَبِيْهِ قَبْلَ وُجُوْدِهِ، وذَلِكَ بِالاهْتِمَامِ بِاخْتِيَارِ أُمِّهِ، مُرَاعَاةً لِعَوَامِلِ الوِرَاثَةِ مِنَ جِهَةٍ، والبِيْئَةِ المُمَثَّلَةِ في حَضَانَةِ الوَالِدَيْنِ لِلأَوْلَادِ مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ.

نَجِدُ الإِشَارَةَ إِلَى ذَلِكَ وَاضِحَةً في قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[1].

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلم: «الخَبِيْثَاتُ مِنَ النِّسَاءِ لِلْخَبِيْثِيْنَ مِنَ الرِّجَالِ، والخَبِيْثُوْنَ مِنَ الرِّجَالِ لِلْخَبِيْثَاتِ مِنَ النِّسَاءِ والطَّيِّبَاتُ مِنَ النِّسَاءِ لِلطَّيِّبِيْنَ مِنَ الرِّجَالِ، والطَّيِّبُوْنَ مِنَ الرِّجَالِ للطَّيِّبَاتِ مِنَ النِّسَاءِ»[2].

فَالآيَةُ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ شَأْنَ الطَّيِّبِ أَنْ يُوَفَّقَ للطَّيِّبَةِ، وشَأْنَ الطَّيِّبَةِ أَنْ تُوفَّقَ لِلطَّيِّبِ.

وقَدِ اسْتَشْهَدَ بَعْضُهُمْ بِهَذِهِ الآيَةِ عَلَى بَرَاءَةِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ بَرَاءَتُهَا في القُرْآنِ.

---

(١) الآية /٢٦/ من سورة النور.

(٢) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ.

قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ: مَا كَانَ اللهُ لِيَجْعَلَ عَائِشَةَ زَوْجَةً لِرَسُوْلِ اللهِ ﷺ إِلاَّ وهِيَ طَيِّبَةٌ لأَنَّهُ أَطْيَبُ مِنْ كُلِّ طَيِّبٍ مِنَ البَشَرِ، ولَوْ كَانَتْ خَبِيْثَةً لَمَا صَلُحَتْ لَهُ لاَ شَرْعاً ولاَقَدْراً، ولِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾. أَيْ هُمْ بُعَدَاءُ عَمَّا يَقُولُهُ أَهْلُ الإِفْكِ وَالعُدْوَانِ.

﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ أَيْ بِسَبَبِ مَاقِيْلَ فِيْهِمْ مِنَ الكَذِبِ.

﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ أَيْ عِنْدَ اللهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيْمِ، وفِيْهِ وَعْدٌ بِأَنْ تَكُوْنَ زَوْجَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الجَنَّةِ[١].

ورُوِيَ أَنَّ أَحَدَ الصَّحَابَةِ كَانَتْ لَهُ فِي الجَاهِلِيَّةِ صِلَةٌ بِامْرَأَةٍ بَغِيٍّ فَلَمَّا أَسْلَمَ أَرَادَ التَّزَوُّجَ بِهَا، واسْتَشَارَ الرَّسُولَ ﷺ فِي ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ قَوْلَهُ: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ.. إلخ﴾[٢].

وكَذَلِكَ جَاءَ الأَمْرُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المُطَهَّرَةِ بِالعِنَايَةِ بِاخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا ولِحَسَبِهَا ولِجَمَالِهَا ولِدِيْنِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّيْنِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»[٣].

---

(١) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ.

(٢) الفُتُوحَاتُ الرَّبَّانِيَّةِ.

(٣) الحديثُ رَوَاهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ.

فَقَدْ جَاء في الحَدِيْثِ الحَضُّ عَلَى التَّزَوُّجِ بِذَاتِ الدِّيْنِ، ومَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ ظَفِرَ بِالهَدَفِ الأَسْمَى مِنَ الزَّوَاجِ وهُوَ الإِعْفَافُ، وإِنْشَاءُ البَيْتِ المُسْلِمِ، والأُسْرَةِ المُسْلِمَةِ الفَاضِلَةِ.

ذَلِكَ أَنَّ المَرْأَةَ شَرِيْكَةُ الرَّجُلِ في حَيَاتِهِ فَإِنْ كَانَتْ مِنْ ذَوَاتِ الدِّيْنِ أَنْجَبَتْ أَطْفَالاً صَالِحِيْنَ، وإِنْ كَانَتْ غَيْرَ ذَلِكَ أَنْجبَتْ أَطْفَالاً سَيِّئِيْنَ والأَخْلاقُ تَسْرِي، والطِّبَاعُ تُعْدِي، والأُمُّ مَنْبتُ الوَلَدِ، وَمَثَلُهُ الأَعْلَى في طُفُوْلَتِهِ فَهُوَ شَدِيْدُ التَّأَثُّرِ بِهَا.

وفي ذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «تَخَيَّرُوْا لِنُطَفِكُمْ: فَانْكِحُوا الأَكْفَاءَ، وأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ»(١).

الأَكْفَاءُ: جَمْعُ كُفْءٍ..

ويَقُوْلُ: «تزَوَّجُوا الحُجْزَ الصَّالِحَ، فَإِنَّ العِرْقَ دَسَّاسٌ»(٢).

الحُجْزُ: الأَصْلُ والمَنْبِتُ، والصَّالِحُ: كِنَايَةٌ عَنِ العِفَّةِ.

المَعْنَى: أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَزَوَّجَ في مَنْبِتٍ صَالِحٍ يَجِيْءُ الوَلَدُ يُشْبِهُ أَهْلَ الزَّوْجَةِ في العَمَلِ والأَخْلاقِ ونَحْوِهِمَا(٣).

فَتَأَمَّلْ أَخِي المُسْلِمَ إِلَى عِنَايَةِ الإِسْلامِ بِالأَوْلَادِ، مِنْ أَيْنَ تَبْدَأُ؟

---

(١) فَيْضُ القَدِيرِ.

(٢) فَيْضُ القَدِيرِ.

(٣) فَيْضُ القَدِيرِ.

وكَيفَ تَبْدَأُ؟ . . إِنَّهَا بِاخْتِيَارِ الزَّوْجَيْنِ الصَّالِحَيْنِ لإِنْجَابِ أُسْرَةٍ مُسْلِمَةٍ وأَبْنَاءٍ بَرَرَةٍ.

وبَعْدَ الزَّوَاجِ تَأْتِي مَرْحَلَةُ إِنْجَابِ الأَطْفَالِ، وفي هَذِهِ المَرْحَلَةِ تَتَأَكَّدُ الرَّابِطَةُ الزَّوْجِيَّةُ، وَيَتَدَعَّمُ كَيَانُ الأُسْرَةِ، ويَفِيْضُ جَوُّهَا بِمَشَاعِرَ جَدِيْدَةٍ نَحْوَ العِنَايَةِ بَالأَطْفَالِ وتَهْيِئَةِ البِيْئَةِ المُنَاسِبَةِ لِمَنْبِتِهِمْ.

وبَعْدَ أَنْ عَرَفْنَا في الرَّسَائِلِ السَّابِقَةِ حُقُوْقَ الوَالِدَيْنِ، وَوَاجِبَ الأَبْنَاءِ تِجَاهَهُمْ. . سَنَتَعَرَّضُ الآنَ لِذِكْرِ حُقُوقِ الإِبْنَاءِ بِالمُقَابِلِ ووَاجِبِ الآبَاءِ تِجَاهَهُمْ.

١ ـ وَاجِبُ الأُمِّ نَحْوَ طِفْلِهَا ـ الرَّضَاعُ

لَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى الأُمَّ أَنْ تُرْضِعَ وَلَدَهَا حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ، وبِذَلِكَ صَرَّحَ القُرْآنُ الكَرِيْمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾(١).

وَقَدْ لَمَسَ العِلْمُ الحَدِيْثُ شَيْئَاً مِنْ فَوَائِدِ إِرْضَاعِ الأُمِّ وَلِيْدَهَا مِنْ ثَدْيِهَا سَنَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ، فلَبَنُهَا أَنْسَبُ غِذَاءٍ وأَفْضَلُهُ لِلْوَلَدِ، إِنَّهُ يَتَشَكَّلُ لَهُ حَسْبَ الطُّقُوسِ والفُصُولِ.

---

(١) الآية /٢٣٣/ من سورة البقرة.

فَهُوَ حَارٌّ في الشِّتَاءِ، بَارِدٌ في الصَّيْفِ لِيَتلاءَمَ مَعَ وَضعِ الطِّفْلِ ولِيَكُوْنَ مُسَاغاً لَهُ حَسْبَ مَا تَقْتَضِيْهِ طَبِيْعَةُ الطَّقْسِ.

وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ في الحَدِيْثَ القَدْسِيِّ، قَالَ تَعَالَى: «وَأَنْبَعْتُ لَكَ عِرْقَيْنِ لَطِيفَيْنِ في صَدْرِ أُمِّكَ يَجْرِيَانِ لَكَ لَبَناً حَارّاً في الشِّتَاءِ، بَارِداً في الصَّيْفِ»[1].

والطِّفْلُ السَّوِيُّ هُوَ الَّذِي رَضَعَ لَبَنَ أُمِّه حَتَّى اسْتَوْفَى مُدَّةَ رَضَاعِهِ سَنَتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ، فَيَكُوْنُ قَدْ رَضَعَ مِنْهَا كَرِيْمَ العَواطِفِ، ورِقَّةَ القَلْبِ ولُطْفَ الحَنَانِ، ومُنْتَهَى الرَّحْمَةِ.

وحِيْنَ يَقُوْلُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾. يُرِيْدُ أَنْ يُثْبِتَ أَنْ لَيْسَ في إِرْضَاعِ الأُمِّ وَلِيْدَهَا هَذِهِ المُدَّةَ مَا يَضُرُّ بِهَا، وإِنَّمَا هُمْ شَيَاطِيْنُ الإِنْسِ والجِنِّ زَيَّنُوا لِضِعَافِ الإِيْمَانِ تَرْكَ إِرْضَاعِ الأَطْفَالِ لأَسْبَابٍ لَيْسَتْ مِنْ شَرْعِ اللهِ الَّذِي يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ... أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُوَ اللَّطِيْفُ الخَبِيْرُ!.

كَمَا ثَبتَ في الطِّبِّ أَنَّ المَرْأَةَ التي لاَ تُرْضِعُ وَلِيْدَهَا مُعَرَّضَةٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ لأَمْرَاضِ الثَّدي... فَسُبْحَانَ الخَلاَّقِ العَلِيْمِ!.

---

(١) الحديثُ رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وصَحَّحَهُ.

٢ ـ وَاجِبُ الأَبِ نَحْوَ الوَلَدِ ـ الإنْفَاقُ عَلَيْهِ

ومِنِ اهْتِمَام الإسْلام بِالأَوْلاَدِ إيْجَابُ نَفَقَةِ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(١).

ولَقَدْ بَيَّنَ الرَّسُولُ ﷺ أَجْرَ إِنْفَاقِ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ، فَهُوَ وإِنْ كَانَ صَرِيْحاً بِذِكْرِ الأَهْلِ إِلاَّ أَنَّ الأَوْلاَدَ يَدْخُلُونَ فِيْهِ دُخُولاً ضِمْنِيّاً، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دِيْنَارٌ أَنْفَقْتَهُ في سَبِيْلِ اللهِ، ودِيْنَارٌ أَنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ، ودِيْنَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِيْنٍ، ودِيْنَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ. . أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ».

وعَنْهُ أَيْضاً قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ دِيْنَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِيْنَارٌ عَلَى عِيَالِهِ، ودِيْنَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى دَابَّتِهِ في سَبِيْلِ اللهِ، ودِيْنَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ في سَبِيْلِ اللهِ»(٢).

فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ يُثَابُ عَلَى إِنْفَاقِهِ عَلَى أَوْلاَدِهِ، فَإِنَّهُ بِالتَّالي يَأْثَمُ بِعَدَمِ الإنْفَاقِ عَلَيْهِمْ مَا دَامُوا صِغَاراً مُحْتَاجِيْنَ إِلَيْهِ.

يَقُولُ رَسُولُ الله ﷺ: «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضِيْعَ مَنْ يَقُوْتُ»(٣).

---

(١) الآية /٢٣٣/ من سورة البقرة.

(٢) الحديثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(٣) الحديثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

٣ ـ وَاجِبُ الأَبِ نَحوَ الوَلَدِ ـ تَعْلِيْمُهُ وتَهْذِيْبُهُ

وأَمْرُهُ بِالمَعْرُوفِ ونَهْيُهُ عَنِ المُنْكَرِ، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾(١).

إِنَّهُ نِدَاءٌ وَاقٍ مِنَ النَّارِ، وأَيُّ نَارٍ. إِنَّهَا نَارٌ ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

ومَنْ لَمْ يَسْمَعِ النِّدَاءَ خَسِرَ نَفْسَهُ خُسْرَاناً أَبدِيّاً، قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾(٢).

وبِمَاذَا يَقِي الإنْسَانُ نَفْسَهُ هَذِهِ النَّارَ، وتِلْكَ الخَسَارَةَ الأَبدِيَّةَ؟.

إِنَّهُ يَقِيْهَا بِالعِلْمِ والعَمَلِ، ذَلِكَ أَنَّ السُّلُوْكَ السَّوِيَّ إِنَّمَا هُوَ فَرْعُ العِلْمِ النَّافِعِ والاعْتِقَادِ السَّلِيْمِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ عِلْمٌ نَافِعٌ صَحِيْحٌ فَمِنْ أَيْنَ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَسْلُكَ السُّلُوكَ الإِسْلامِيَّ القَوِيْمَ؟ مِنْ هُنَا كَانَ مِنَ الوَاجِبِ عَلَى كُلِّ أَبٍ أَنْ يُعَلِّمَ أَوْلادَهُ العِلْمَ الدِّيْنِيَّ أَوَّلاً، وعِلْماً يُؤَمِّنُوْنَ بِهِ حَيَاةً فَاضِلَةً سَعِيْدَةً.

كَمَا أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنْ يَأْمُرَ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ، قَالَ الله

---

(١) الآية /٦/ من سورة التحريم.

(٢) الآية /١٥/ من سورة الزمر.

تَعالَى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾[1].

وهَذَا لُقْمَانُ عَلَيْهِ السَّلامُ يَأْمُرُ ابْنَهُ بِالصَّلاةِ، والأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَى لِسَانِ لُقْمَانَ: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[2].

ورَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مُرُوْا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلاةِ وهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِيْنَ، واضْرِبُوْهُمْ عَلَيْهَا وهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في المَضَاجِعِ»[3].

والحِكْمَةُ مِنْ ضَرْبِهِمْ عَلَى الصَّلاةِ لِيَعْتَادُوْهَا ويَأْنَسُوا بِهَا حِيْنَ يَبْلُغُونَ سِنَّ التَّكْلِيْفِ.

والحِكْمَةُ مِنَ التَّفْرِيْقِ بَيْنَهُمْ في المَضَاجِعِ، الخَوْفُ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، والحَذَرُ مِنْ غَوَائِلِ الشَّهْوَةِ لأَنَّهُمْ في هَذِهِ المَرْحَلَةِ مِنْ حَيَاتِهِمْ يُخْشَى عَلَيْهِمُ الوُقُوعُ في المَحْظُوْرِ، وذَلِكَ أَنَّ سِنَّ المُرَاهَقَةِ مُخِيْفٌ وخَطِيْرٌ مِنْ أَجْلِ هَذَا جَاءَ الأَمْرُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِالتَّفْرِيْقِ بَيْنَهُمْ في المَضَاجِعِ، ومَنْعِهِمْ مِنَ النَّوْمِ في غُرْفَةٍ وَاحِدَةٍ تَأْدِيْبَاً لَهُمْ ومُحَافَظَةً لأَمْرِ اللهِ، وحِمَايَةً لِحُدُودِهِ ومَحَارِمِهِ.

---

(١) الآية /١٣٢/ من سورة طه.

(٢) الآية من سورة لقمان.

(٣) الحديثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

٤ ـ وَاجِبُ الأَبَوَيْنِ نَحْوَ الأَوْلاَدِ

أَنْ يَعْدِلُوا بَيْنَهُمْ في كُلِّ شَيْءٍ: في التَّرْبِيَةِ، في النَّفَقَةِ، في الحُبِّ، في الشَّفَقَةِ، كَيْ لاَ تُغْرَسَ في نُفُوسِهِمُ الكَرَاهِيَةُ والحَسَدُ والبَغْضَاءُ، فَمَا نَقَمَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ إِلاَّ لأَنَّهُم لاَحَظُوا مِنْ أَبِيْهِمْ مَيْلاً وَحُبّاً لِيُوسُفَ أَكْثَرَ مِنْهُمْ، لِذَلِكَ نَقَمُوا عَلَيْهِ وحَسَدُوْهُ، وتَآمَرُوا عَلَى قتْلِهِ، قَالَ تَعَالَى حَاكِياً عَنْهُمْ: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾[1].

هَذَا في سِنِّ الطُّفُولَةِ، أَمَّا حِيْنَ يَكْبُرُ الأَبْنَاءُ ويَشِبُّوْنَ عَنِ الطَّوْقِ فَوَاجِبُ الآبَاءُ حِيْنَئِذٍ أَنْ يَعْدِلُوا بَيْنَهُمْ في العَطِيَّةِ كَيْ لاَ يُصْبِحَ الآبَاءُ سَبَباً في كَرَاهِيَةِ أَبْنَائِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وقَدْ يُصْبِحُ الأَبْنَاءُ أَعْدَاءً لآبَائِهِمْ وإِخْوَانِهِمْ.

فَكَثِيْرٌ مِنَ الآبَاءِ خَاصَةً في هَذَا الزَّمَانِ يَخُصُّ بَعْضَ أَبْنَائِهِ دُوْنَ البَعْضِ شَيْئَاً مِنْ مَالٍ أو عَقَارٍ أو غَيْرِ ذَلِكَ لِمُجَرَّدِ غَضَبِهِ عَلَى أَحَدِهِمْ أو تَقْصِيْرِهِ في حَقِّهِ فتَكُوْنُ الطَّامَّةُ الكُبْرَى فَيَتَحَوَّلُ ذَلِكَ المَحْرُوْمُ إِلَى وَحْشٍ كَاسِرٍ يُهَدِّدُ أَبَاهُ وأُمَّهُ وأَخَاهُ بِالقَتْلِ إِنْ لَمْ يَحْدُثْ ذَلِكَ بِالفِعْلِ.

---

(١) الآيتان /٨ ـ ٩/ من سورة يوسف.

وَقَدْ يَتَّخِذُ مِنْ أَخِيْهِ عَدُوّاً لَدُوْداً طِيْلَةَ حَيَاتِهِ يُنَابِذُهُ العِدَاءَ بِسَبَبِ تَمْيِيزِهِ عَلَيْهِ.

يُحَدِّثُنَا الدُّكْتُور سَعد جَاوِيش في إِحْدَى مُحَاضَرَاتِهِ حِيْنَ كُنْتُ في السَّنَةِ الثَّالِثَةِ بِكُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّيْنِ، وقَدْ حَضَرْتُ هَذِهِ المُحَاضَرَةَ، يَقُوْلُ: وَقَدْ حَدَثَ أَنَّ أُمّاً اخْتَصَّتْ أَحَدَ بَنِيْهَا بِبَعْضِ مُمْتَلَكَاتِهَا، فَمَا كَانَ مِنَ الابْنِ المَحْرُوْمِ وقَدْ عَلِمَ بِذَلِكَ إِلاَّ أَنِ انْقَضَّ عَلَى أُمِّهِ الَّتِي كَانَتْ مَوْضِعَ بِرِّهِ، فَطَعَنَهَا بِفَأْسِهِ طَعْنَةً كَانَتِ القَاضِيَةَ، وذَلِكَ بِسَبَبِ تَفْضِيْلِ أَخِيْهِ عَلَيْهِ بِدُوْنِ مُبَرِّرٍ. وأَشْبَاهُ هَذِهِ الحَادِثَةِ كَثِيْرٌ.

فَمَا كَانَ أَغْنَى النَّاسَ عَنْ ذَلِكَ لَوِ الْتَزَمُوا الشَّرْعَ الحَنِيْفَ وارْتَضَوا حُكْمَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ الَّذِي يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنْ المُصْلِحِ، وكَانَتْ أَوَامِرُهُ سَدّاً لِذَرَائِعِ الفَسَادِ، ومَنْعاً لِوُقُوعِ الشَّرِّ خَاصَّةً بَيْنَ الأَقَارِبِ والأَرْحَامِ.

٥ ـ وَاجِبُ الآبَاءِ نَحْوَ الأَبْنَاءِ

أَنْ يَخْتَارُوا لَهُمْ أَسْمَاءً مُنَاسِبَةً جمِيْلَةً، ولاَ يَخْتَارُوا لَهُمْ أَسْمَاءً قَبِيْحَةً كَيْ لا يَكُوْنُوا عُرْضَةً لِلسُّخْرِيَةِ مِنْ قِبَلِ رِفَاقِهِمْ في المَدْرَسَةِ وغَيْرِهَا، وإِلاَّ نَشَأُوا مُعَقَّدِيْنَ مَهْزُوزِيْنَ ضُعَفَاءَ الشَّخْصِيَّةِ غَيْرَ مُتَوَازِنِيْنَ فِكْرِيّاً.

٦ - وَاجِبُ الأَبِ نَحْوَ وَلَدِهِ

أَنْ يُحَافِظَ عَلَى حَيَاتِهِ فَلَا يَقْتُلَهُ. فَقَدْ كَانَ العَرَبُ في الجَاهِلِيَّةِ يَقْتُلُونَ بَنَاتِهِمْ مَخَافَةَ السَّبْيِ والفَقْرِ لِجَهْلِهِمْ أَنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِيْنُ لَا هُمْ يَرْزُقُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَلَقَدْ كَثُرَتِ الآيَاتُ في القُرْآنِ الكَرِيْمِ تُشَدِّدُ النَّكِيْرَ عَلَيْهِمْ وتَذُمُّ فِعْلَهُمْ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(١).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾(٢).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾(٣).

فَقَدْ كَانُوا يَقْتُلُونَ أَوْلَادَهُمْ خَشْيَةَ الفَقْرِ فَنَهَاهُمُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ مُبَيِّناً أَنَّ رِزْقَ الصَّغِيْرِ والكَبِيْرِ عَلَى اللهِ.

وزِيَادَةً في الاطْمِئْنَانِ قَدَّمَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ في الآية الاهْتِمَامَ بِرِزْقِ الصَّغِيْرِ قَبْلَ الكَبِيْرِ، فَقَالَ: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾.

---

(١) الآية /١٤٠/ من سورة الأنعام.

(٢) الآية /١٥١/ من سورة الأنعام.

(٣) الآية /٣١/ من سورة الإسراء.

وفي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لله نِدّاً وهُوَ خَلَقَكَ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيْلَةِ جَارِكَ(١).

هَذَا وَيَجِبُ التَّنْبِيْهُ هُنَا عَلَى أَنَّ مِنْ قَتْلِ الأَوْلاَدِ، الإِجْهَاضَ العَمْدَ لِلْجَنِيْنِ إِذَا بَلَغَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، لأَنَّ الرُّوْحَ تُنْفَخُ فِيْهِ حِيْنَئِذٍ، فَإِجْهَاضُهُ قَتْلٌ لَهُ، فَلْيَحْذَرِ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ.

٧ ـ وَاجِبُ الأَبِ لَهُ حَدٌّ يَجِبُ أَنْ لاَ يَتَعَدَّاهُ

لَقَدْ حَذَّرَ الله تَعَالَى مِنَ الانْدِفَاعِ فِي حُبِّ الأَوْلاَدِ والانْشِغَالِ بِهِمْ حُبّاً يُنْسِي الآبَاءَ واجِبَاتِهِمْ نَحْوَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ.

وأَوْضَحَ اللهُ عَزَّ وَجلَّ أَنَّ الانْسِيَاقَ في حُبِّ الأَوْلاَدِ يُؤَدِّي بالإِنْسَانِ إِلَى ما لا يُحْمَدُ عُقْبَاهُ، فَيَصِيْرُ مَوْقِفُهُمْ ـ وحَالُهُ هَذَا مِنْهُمْ ـ مَوْقِفَ العَدُوِّ مِنْ عَدُوِّهِ، وإِنْ كَانُوا لاَ يَقْصِدُوْنَ عَدَاوَتَهُ ولاَ مَضَرَّتَهُ لَكِنْ حِيْنَ يَنْتَهِي بِهِمُ الحُبُّ إِلَى نِسْيَانِ وَاجِبِهِمْ نَحْوَ دِيْنِهِمْ كَانُوا بِمَثَابَةِ الأَعْدَاءِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾(٢).

---

(١) رَوَاهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ.

(٢) الآية ٦٤ من سورة التغابن

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: يَقولُ الله تَعَالَى مُخْبِراً عَنِ الأَزْوَاجِ والأَوْلاَدِ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ عَدُوُّ الزَّوْجِ والوَالِدِ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُلْهِيْهِ عَنِ العَمَلِ الصَّالِحِ»[1].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

وقَالَ أَيْضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[3].

ولاَ نَنْسَى الغُلاَمَ الَّذِي قَتَلَهُ الخَضِرُ المَذْكُوْرُ في سُوْرَةِ الكَهْفِ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: (أَيْ يَحْمِلَهُمَا حُبُّهُ عَلَى مُتَابِعَتِهِ عَلَى الكُفْرِ، قَالَ قَتَادَةُ: قَدْ فَرِحَ بِهِ أَبَوَاهُ حِيْنَ وُلِدَ، وحَزِنَا عَلَيْهِ حِيْنَ قُتِلَ ولَوْ بَقِيَ لَكَانَ فِيْهِ هَلاَكُهُمَا).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَالَ: «الغُلاَمُ الَّذِي قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِراً»[4].

---

(١) تَفْسيرُ ابْنِ كَثِيرٍ.

(٢) الآية /١٥/ من سورة التغابن.

(٣) الآية /٩/ من سورة المنافقون.

(٤) تَفْسيرُ ابْنِ كَثِيرٍ. والآية من سورة الكهف.

هَذَا وَقَدْ جَعَلَ اللهُ الأَوْلَادَ مَعَ الأَمْوالِ فِتْنَةً لِلآبَاءِ، أَيْ امْتِحَاناً لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيْعُهُ مِمَّنْ يَعْصِيْهِ، وقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ فَجَاءَ الحَسَنُ والحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَلَيْهِمَا قَمِيْصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ المِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ إِنَّما أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ، نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ ويَعْثُرانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيْثِي ورَفَعْتُهُمَا»(١).

فَإِذَا كَانَ الأَوْلَادُ فِتْنَةً، أَي اخْتِبَاراً وامْتِحَاناً، فَوَاجِبُ الآبَاءِ أَنْ يَطْلُبُوا النَّجَاحَ في هَذَا الامْتِحَانِ، وذَلِكَ بِالتِزَامِ أَوَامِرِ اللهِ فِيْهِمْ كَمَا تَقَدَّمَ، مِنْ عِنَايَةٍ بِهِمْ في مُخْتَلَفِ الأَحْوَالِ، وَلَكِنْ في حُدُودِ الاعْتِدَالِ والمَعْقُولِ حَتَّى لاَ يَنْشَغِلُوا بِهِمْ عَنْ قِيَامِهِمْ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى.

فَنَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُلْهِمَنَا رُشْدَنَا، وأَنْ يَقِيَنَا شَرَّ أَنْفُسِنَا وهُوَ المُوَفِّقُ والهَادِي إِلَى سَبِيْلِ الرَّشَادِ.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

تَمَّتِ الرِّسَالَةُ

وإِلَى لِقَاءٍ مَعَ أَدَبٍ آخَرَ

(١) الحَدِيْثُ رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ وأَصْحَابُ السُّنَنِ.

فجرُ الهُدى والإيمان

من هدي الرسول (ﷺ) في الآداب

للصغار واليافعين

إليكَ عزيزي القارئَ : بعضَ أحاديثِ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الآداب ، لتكون ضياء يبدد ظلمات الحيرة والجهالة ، وتبسط أمام الناشئة صوراً رائعة من أدب الرسول الجم وهو القائل : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) وهو القائل أيضاً : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

فاسع عزيزي القارئ - إلى اقتناء هذه المجموعة الجديدة من مجموعات فجر الهدى والإيمان ، تقدمها إليك دار القلم العربي بحلب وهي حريصة على أن تقدم لك كل ماهو مفيد وممتع .

الناشر

I.S.B.N :1-8080-8

دار القلم العربي
للأطفال